



جديد إيمانك



فضيلة الشيخة

هاني دلمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله تعالى فلا مضى له ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ

اللهم باركْ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركتْ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ

مجيدٌ

أما بعد ..

فإنني أسألك الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ينفعنا

ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشداً

أخطاه، لا شك أنه يأتي على العبد كثيراً هذه اللحظات التي إذا تدبر فيها في حال نفسه تبين له أنه يقطع عنه الطريق بينه وبين ربنا ..

ألا يحدث كثيراً أن يقطع بينك وبين ربنا خواطر سيئة، للأسف تضيّع إيمانك وتستهلك أوقالك وتقلب تفكيرك وتبعدك عنه ربك؟؟

ألا يحدث كثيراً أن تجدي نفسك تأمرك بمعاصي وذنوب وهناك أشياء لا تعرفي ماذا تفعل فيها وفي النهاية تقعي في الفخ؟؟؟ ..

ألا تختاري أحياناً في نفسك؟؟ ..

يعني الواحدة من الممكن أن تمشي خطوتين ثم بعدها للأسف تقع ثانية، فتقول: ماذا أفعل في نفسي؟!، ما المطلوب مني؟! .. كل هذه الابتلاءات أنا لا أقدر عليها ..

أنا أعرف أن هناك مشكلة لك ماهي؟ وكيف أتعامل معها؟ ..

يمكن كثير منا يعترف بطريقة (اتفقنا .. ثم ماذا؟؟) لما نقول ربنا سبحانه وتعالى قال: {أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مَُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ لَّيْسَ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165] ..

المشكلة داخلك، المشكلة في نفسك...

أنا أعرف أن هناك من تقول: نعم، أنا نفسي أمارة بالسوء، ثم ماذا كيف أتصرف؟ .. ومن ستقول: أنا معترفة أن بي أخطاء، لكن هناك ظروف أيضاً يجب أن توضع في الاعتبار .. أم يجب أن تعترف كل منا وتقر فقط .. أنا أعرف أن لدي مشاكل، لكن هذه المشاكل تنشأ عن أوضاع أوضع فيها ومن هنا كل مرة أقع في الخطأ .. وهناك من ستكون محبطة، وتقول: أنا ينست من نفسي .. لا فائدة مني حاولت كثيراً مع نفسي فكلامك لن يقدم أو يؤخر ..

تعالى اليوم نجدد إيماننا، بترويض أنفسنا .. نتعلم كيف ننسوس هذه النفس ..

البداية، أنك لا تعرفي نفسك .. ولا تعرفي كيف تجاسبها .. ولا كيف تروضها ...

هذه الثلاث أشياء هي رويضة تجديد الإيمان، من خلال معالجة خطر النفس .. لذلك اسمحي لي أن أوضح لك الموضوع، ونتفق معاً على خطوات عملية لمن تريد حقاً أن تكون نفسها نفس مطمئنة ..

أول شيء: يجب أن تعرفي نفسك

قالوا: "من عرف نفسه، عرف ربه" ..

ستظلي طوال عمرك لا تعرفي لماذا يحدث لك ما حدث، ولا تفهمي عن الله حكمته في أنه ابتلاك بهذا الابتلاء، أو أنك لا تستطيعي أن تكلمي الطريق ولا أن تستقيمي .. لا تعرفي كيف تأخذين القرار، كلما وعظت أو نُهِيت أو قيل لك: يجب أن تأخذي الخطوة .. يجب أن تعرفي أن الوقت يجري والعمر قصير .. ويجب أن تنجي نفسك قبل فوات الأوان ..

لكن هذا الكلام كله لا يؤثر فيك، ولو أثر يكون تأثير لوقت قصير .. ممكن تُوعظي موعظة تتأثري بها وتعودي لبيتك وكأن شيئاً لم يكن .. ممكن تتأثري يوم، اثنين أو ثلاثة .. لكن تعودى ثانيةً لعاداتك ومألوفاتك ..

فأين المشكلة؟؟ .. المشكلة داخلك، المشكلة في خطر نفسك..

أنك لا تفهمي خطر النفس العظيم .. انظري **النفس مكرها كبير وشرها مستطير** ...

أول شيء: الأصل أن تعرفي جيداً أن كل واحد منا داخله شرور..

شرور النفس التي كان النبي ﷺ يستعيز منها في خطبة الحاجة فيقول "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا" .. فاستعاذ ﷺ من شر النفس عموماً ومن شر ما يتولد منها من الأعمال؛ لذلك قال "شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا" .. ثاني شيء النفس منبع كل شر ومأوى كل سوء، وضعيها قاعدة::

❗ النفس لا تألف الخير أبداً ❗

لذلك تجدي نفسك بعد أن استقيمت مثلاً في موسم من مواسم الطاعة ... كنت في رمضان بحال جيد، والله كنت ما شاء الله لا قوة إلا بالله أمسك بالمصحف وأصلي القيام وصيام في النهار وأذاكر وأعمال بر ... لكن للأسف الشديد تغير الوضع .. هل تعلمين لماذا؟؟ .. لأن النفس لا تألف الخير .. النفس لا تتعود على الخير .. النفس تؤز وتأمّر بالسوء .. ولولا فضل الله علينا ما كان فيها خير أبداً وهذا ما قاله ربنا تبارك وتعالى .. قال جل وعلا: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [النور:21]

فيجب أن يكون لديك يقين بأن هذه النفس مأوى كل سوء .. ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "اللهم اغفر لي ظلمي وكفري _هل تتصورى هذا؟ سيدنا عمر يدعو

ويقول يا رب اغفر لي ظلمي وكفري ! _ فقال قائل: يا أمير المؤمنين هذا الظلم _ قد تقول على نفسك أنك ظالم لنفسك ولكن كفر _ فما بال الكفر؟ قال ألم تسمع {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: 34] .. فلفظ الإنسان هذا تتبعه في القرآن، هذه صفات النفس {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: 2] .. هذا هو .. هذه النفس مآلها إلى خسران إلا إذا زكاها ربنا، يوصف بأن هذا الإنسان **يئوس** نعم هكذا هي النفس محبطة دوماً تصيبك باليأس دوماً، **كنود** يعرف وينعم عليه ثم بعدها ينكر هذه هي النفس منع كل شر ومأوى كل سوء ..

ثالث شيء: النفس من جند القلب، وهي من أشد جنده خلافاً عليه وشقاقاً

له

يعني عندما بدأنا روشتة تجديد الإيمان، بدأنا بالقلب وقلنا نتكلم عن أخطر أمراض القلوب وتكلمنا عن **مرض التسخط** ومرض **الكبر** .. هناك علاقة بين القلب وبين النفس ابن القيم يقول في إغاثة اللهفان " إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس _ فنحن لو روضنا هذه النفس .. لو هذبناها .. لو عرفنا نتعامل معها بشكل صحيح، سيكون هذا سبب من الأسباب أن الواحد يعالج من الأمراض الموجودة داخل قلبه سواء كبر، عجب، رياء، تسخط .. فهناك علاقة بين النفس وبين القلب، سائر أمراض القلب يقول: إنما تنشأ من جانب النفس - فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ثم تبعث منها ...

كل المشاكل وكل الآفات وكل بواسع الجاهليات وآثار الذنوب والمعاصي، هذه تتكون في القلب ثم النفس تأخذها وتستخدمها في الحق على المعاصي مرة أخرى ..

واحد لا يستطيع كيف يقي نفسه شر إطلاق البصر .. أخت لا تعرف كيف تعالج نفسها من هذا الموضوع مثلاً .. بدأت تنظر للحرام، أو بدأت تسمع حرام، أو تكون لها علاقة ليست على وفق الشرع ... فهناك ذنوب .. هذا الذنب يكون نقطة سوداء في القلب، النفس تستغل هذا الموضوع .. هي جند من جنود القلب، تأخذ هذا وتبدأ تؤز على هذا المعنى ثانية .. ولماذا لا تنظري ، وماذا فيها لو كنت كذا ، هل ستظلي هكذا فكيف ستتزوجي .. تبدأ النفس تأمر بالسوء .. واحدة إعتادت على سماع الأغاني .. وتتسائل: ما الأمر السيء بها؟ وهل يجب أن تكون كل الأمور كبت؟ .. وتعمل النفس هكذا في الأمر بالسوء بهذه الطريقة .. وماذا هناك لو رفعت عن نفسي قليلاً وشاهدت فيلماً .. هذه هي المشكلة .. كيف تستغل النفس آثار الذنوب التي ترسبت في القلب

رابع شيء: النفس هي قاطع الطريق بين قلبك وبين ربك

يقول ابن القيم: أن هذا العمل لا يخرج هكذا لربنا .. أنا الآن صليت، هذه الصلاة المفترض أن تترك أثر في القلب .. هذا القلب لو تركت أثر من خشوع، من خضوع، من سكينة، من أي معنى من هذه المعاني الإيمانية تكون هي الجسر الذي يصعد من خلاله العمل إلى الله عز وجل يقول:

" بين العمل وبين القلب مسافة وبين القلب وبين الرب مسافة "

هل انتبهت لهذا الشكل الثلاثي؟ .. كأن لديك سهم متوجه إلى قلبك، ومن القلب إلى الله تبارك وتعالى .. فكأنه شكل مثلث رأسه القلب الطريق ..

الضلع الذي بين القلب وبين الرب، يقف عليه قاطع طريق .. ما اسمه؟؟ **اسمه النفس ..**

يقول النبي ﷺ فيما رواه البزار بإسناد حسن "إن بين أيديكم عقبة كؤودا لا ينجو منها إلا كل مخف" [رواه البزار وصححه الألباني] ..

النفس - كما يقول ابن القيم - جبل وعمر، يجب أن تتسلقيه .. لا تستطيعي أن تتجاوزي هذه المرحلة .. لا يوجد لديك طريق آخر، يجب أن تصعدي الجبل ويجب أن تتجاوزيه؛ لأنه قاطع الطريق بينك وبين ربنا سبحانه وتعالى .. ابن القيم في إغاثة اللهفان يقول:

" اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم، على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب "

هل فهمتم هذه المعادلة؟ ..

النفس:: أعظم وأخطر قاطع طريق بين قلبك وبين ربك

لذلك عندما تقولين: أنا بفضل الله عز وجل ضبطت أحوالي وأورادي تمامًا .. وأحوالي الحمد لله أحسن كثيراً مما قبل، لكن لا أشعر ولا أتذوق ولا أجد الأثر .. هذا أحد الأسباب::

النفس واقفة وتقطع عليك الطريق .. يعني أنت تتركي لنفسك مجال .. تركت لها الأمر فبالتالي أوقات كثيرة تهفو نفسك إلى شيء، فتقدمي هوى نفسك على طاعة ربك .. أنت تريدين النوم فما بال القيام ، أنت استيقظت اليوم لم لا أصوم ؟

أنا اليوم متعبة وسأخرج ولدي أشياء كثيرة لا سأكل، ونفس الكلام أنا الآن كنت أريد أن أكلم فلانة ولكنه وقت أذكار، ولكني أريد أن أقوم بهذا الموضوع الآن لا لا سأكلها وأؤجل الأذكار لوقت آخر .. هذا هو ما نتكلم عنه، هذه هي النفس التي تقطع بينك وبين ربك سبحانه وتعالى ..

لذلك يجب أن تتعلمي هذا الدرس من البداية:: أن الذي يظفر على نفسه .. من يستطيع أن يملك نفسه .. من يقول لنفسه لا .. من ينهى نفسه عن هواها ومبتغاها، هذا هو الذي تكون النفس طائعة له ويعرف كيف يحركها.

وهو ما يشبهه العلماء بمثال أنه كترويض الحيوانات، فحيوانات السيرك هي كالنفس تماماً .. أنت لو بدأت تغلقي عليها أولاً؛ لأنه لا يمكن في بداية الترويض أن تتعامل معها مباشرة .. فأولاً يجب أن تغلقي عليها .. تحبسها ثم تبدئي بعد ذلك تعاملها بالعصا والجزرة هذه هي نفس الفكرة مع النفس ..

نريد مثلاً نجتهد خلال هذا الأسبوع أن نضبط موضوع قيام الليل ولو لم يحدث سُحْرَمِي من الشيء المحب إليك . الذي هو مثلاً أنتِ كل أسبوع تخرجي مثلاً مع أهلك أو مع زوجك .. ممنوع لن تخرجي فيكون قرار.

أنا مثلاً أحب بعض الأشياء ففوّ إليها نفسي، أحب أن أشتري أكلة معينة من مكان معين أو أتسوق وأشتري شيء والله لن أفعل هذا هو.

فيجب أن أضبط هذا بالعقوبة؛ بالعصا وبالجزرة .. فلو النفس تمشي جيداً وطائعة، ممكن أبدأ أوسع عليها شيئاً ما .. لا أوسع عليها تماماً .. لا يمكن أن أفتح لها السجن .. لا يمكن أن أفتح القفص.

لأنها لو خرجت ستأسد عليّ، حتى لو روضتها من الآن وحتى الصباح يجب أن نفهم هذا المعنى جيداً

فراجع شيء: النفس أكبر قاطع بين القلب وبين الوصول إلى الرب تبارك وتعالى ..

لذلك شعار أهل الجنة:: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: 40,41]

خامس شيء: النفس لها ثلاثة دواعي متجاذبة

خامس شيء يجب أن تفهميه في موضوع النفس؛ أن النفس لها ثلاثة دواعي متجاذبة .. ثلاث أشياء ترغب فيها النفس وتدعوها ابن القيم يقول هذا الكلام في المدارج يقول: "هناك داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان _ فهناك شيء داخل النفس يقول

لها: أنتِ يجب أن تتكبري .. ارفعي رأسك، كما تكلمنا في درس **(لا تتكبري)** .. تعاملتي بقوة، ألا يعرفون من هم .. ألا تعرفي نفسك .. ألا تقدرين إمكاناتك .. ألا تعرفين من أنت، ومن هذه التي تأتي اليوم لتتعالى عليك وتقول كذا وهذا الكلام.

داعٍ داخل النفس يدعوها إلى الانتصاف بأخلاق الشيطان .. كبر، حسد، علو، بغي، شر، أذى، فساد، غش .. صفات الشياطين _وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهي داعي الشهوة _النفس هواها في الشهوات بشكل عام سواء شهوات الرجال، المال، الأولاد، العلو في الأرض، تلبسي أحسن لبس، وتركبي أحسن سيارة، وتسكني في أحسن بيت _ وهذا داعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان، والداعي الثالث داعٍ يدعوها إلى أخلاق الملك من الإحسان، النصيح، العلم، البر، الطاعة" .. لذلك انظري اثنان، إلى واحد يدعوها للانتصاف بأخلاق الشيطان وإلى أخلاق الحيوان .. فيها شيتين يذهبان بك إلى المهالك، وشيء واحد فقط هو الممكن استثماره وتكون من خلاله النفس نفس مطمئنة .. فيجب أن تفهمي هذا المعنى جيداً ..

أن في النفس هذه الثلاث دواعي:

(1) داعٍ يدعوها إلى الانتصاف بأخلاق الشيطان

(2) وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان

(3) وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الملك

كما تعرفين أن القرآن عندما تكلم عن النفس، قسمها إلى ثلاثة أقسام بثلاثة أوصاف

"نفس مطمئنة" .. {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} [الفجر: 27، 28]

"النفس الوامة" .. {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: 1، 2]

"والنفس الأمارة بالسوء" .. {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: 53]

الأصل فيها أنها لوامة أم مطمئنة أم أمارة بالسوء؟؟

الأصل أنها أمارة بالسوء .. هذا هو الأصل فيها، إنما العبد عندما يبدأ في زجرها ومجاهدتها ويقول لنفسه: لا ويبدأ يروضها .. **تبدأ تنتقل إلى مرحلة النفس اللوامة؛** التي تلوم صاحبها على الخير وعلى الشر .. حتى أنها يوم القيامة يمكن أن تلوم هذا الإنسان إن كان محسناً لماذا لم تزد إحساناً، وإن كان مسيئاً لماذا عملت السوء ..

النفس الثالثة هي النفس مطمئنة وهذه يصل إليها العبد بأشياء كثيرة، وأهمها: عندما يترسخ الإيمان في الوجدان .. عندما يدخل الإيمان حقاً في قلبك، ساعتها تكون النفس ساكنة ومطمئنة؛ لأنها نفس جاهدها صاحبها في الله .. حق الجهاد.

نحن الآن أخذنا بشكل مبسط خمس أشياء، هي الصفات الأساسية للنفس، وذكرنا أن أقسامها ثلاث أقسام، وقلنا أن الموضوع سيسير على ثلاث محاور::

أولها أن تعرفي نفسك .. ومن هنا بعد أن قلت لك هذا الكلام، أريد أن تجلسي بينك وبين نفسك وتسألها ماذا بداخلك؟؟ .. فكري دائماً، بماذا تلح عليك نفسك .. بأي داعٍ من الدواعي تدعوك؟ .. داعي الشهوات أم داعي الصفات الإبلسية أم أن نفسك تأمرك بالطاعة؟ .. حتى تعرفي من أنت وأين مشكلتك، فتضعي يدك على مشكلتك من البداية ..

من يعرف نفسه ويعرف أنه ضعيف لا يتكبر ..

ومن يعرف نفسه ويعرف أنه أولاً وأخيراً عبد لله عباد الله في الأرض، فكيف يرفع رأسه ويتعالى؟ ..

من ستعرف نفسها بهذه المعاني، ستعرف ربها في المقابل بمعاني الكمال ..

إنك إه تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف وعورة وخطيئة وزنب ..

هذا أنا وهذه نفسي .. نفسي تدعوني للمعاصي .. نفسي تدعوني للمخالفة .. نفسي تدعوني أن أبعد عن ربنا سبحانه وتعالى، والله يدعوني إلى دار السلام {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: 27] .. {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} [النساء: 28] .. الله يريد ألا يكون أحد منا في حرج .. ربنا يريد لنا الخير، والنفس تريد لنا الشر .. فأَي الفريقين أحق أن تكوني فيه؟ حزب الرحمن أم في حزب الشيطان والنفس الأمارة بالسوء؟ .. هذا هو المعنى الأساسي الذي يجب أن تفكري فيه؛ لأنه خطوة من خطوات العلاج.

المرحلة الثانية :: هي مرحلة المحاسبة

فاعرفي من البداية، أنه لا نجاة للإنسان من أي مشكلة فيه .. من أي آفة داخله، إلا بالمحاسبة .. لو لم تقفي مع نفسك وقفة، وقلت أنا حتى الآن لم ألبس حجاباً شرعياً .. أنا حتى الآن لم أفرط في القرآن؟ .. لماذا لا أحفظ حتى الآن ولو جزء قرآن؟ .. أنا لماذا لم أختتم القرآن حتى الآن؟ .. لماذا حتى الآن أسمع وأسمع ولا تنفيذ ولا تطبيق؟ .. متى سأفقي؟ حتى متى سأترك نفسي هكذا؟ .. حتى تزداد عليّ الفتن!! ..

الآن واحدة لم تتزوج بعد، فتزوج فتكثر عليها المسؤوليات .. بعدها تنجب فتزيد المسؤوليات .. بعدها تتولى تربية الأولاد .. زادت الأمور عليها وتقول: ياااااه لقد ضيعت أوقات، كان لدي وقت سبحان الله .. لم أكن أعرف ماذا أفعل فيه، وللأسف الشديد ضيعت عمري .. للأسف في أشياء ليس من ورائها أي منفعة أو مصلحة تنفعني يوم القيامة، فالواحد يجب أن يتدبر ويتفكر حتى متى يجب أن يحدث أمامك أشياء كبيرة تهزك ..

يجب أن تشاهدي الأخت ذات الخمس وعشرين سنة وقد توفيت حتى تشعرى؟؟!
هل يجب أن نذكر دائماً بهذه المعاني .. بسوء الخاتمة التي ترينها على كثير من الناس وبموت الفجأة والمخاوف التي نعيش فيها والفتنة الشديدة التي تعصف بالناس؟؟!

ألم تري كثير من الناس كانت تحضر معك الدروس وكانت ما شاء الله لا قوة إلا بالله تقولي عنها أخت من أفضل الأخوات، وبعد ذلك انتكست وأصبح حالها حال وضاعت .. وأنت مازلت لست خائفة .. أنت مازلت لا تعملين حساب لهذا الكلام .. يجب أن تقفي مع نفسك وقفة، وتقولي:

حتى متى وإلى أية تنهيه؟؟!! { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } [التكوير: 26]

هذه الخاسبة هي التي ستجعلك تقولين: لا، والله العظيم أنا يجب أن آخذ قرار مختلف .. أنا لن أترك نفسي هكذا، ولن أترك نفسي للظروف، ولا لكلام الناس .. ولن أترك نفسي والشماعات التي أضعها بجانب، فكل ما أسمع كلمة خير أو كل ما أحد يدلني على طريق ربنا أقول وماذا سأفعل في البيت؟، ماذا أفعل مع والدي والديتي؟، ماذا أفعل مع أخواتي؟، ماذا سأفعل مع أصحابي؟، ماذا سأفعل مع زوجي؟ .. طول الوقت تضعي أمامك مشاكل .. تضعي شماعات ولا تتحركي، وهؤلاء بماذا سينفعوني وهؤلاء سيقفوا يحملوا سيئاتي يوم القيامة، أول من سيتبرأ مني هم أهلي {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} [عبس:

34,36] .. حتى أولادي فلذة أكبادي سيتبرءون مني .. أنا إلى متى أفهمها خطأ .. إلى متى أترك نفسي هكذا الحياة بلا طعم ولا معنى ولا أي شيء؛ لأننا للأسف ليست هي الحياة التي يطلبها منا ربنا تبارك وتعالى .. للأسف أنا شاردة ومشغولة بهمي، كل واحدة مبتلاة بابتلاء .. هذه معطل عنها رزق معين، أو حُرمت من بعض الأشياء .. نكدية وتحمل الهم وتحمل كل شيء على رأسها؛ لأن هذا الرزق لم يأتها .. هذه ليست موفقة في زواج .. هذه ليست موفقة في دراسة .. هذه ليست موفقة في حياتها الزوجية .. والحياة كلها تتوقف على هذه المعاني ..

أيه الله يا أخوات؟؟! أيه ربنا في حياتك؟؟!

عمرك ما ستنجي من حياتك ومن عقدك إلا لو وقفت مع نفسك وقفة، وقفة مع النفس حقيقية تحاسبها .. قال الله {يَوْمَ يَعْتَصِرُ اللَّهُ جَمِيعاً فَنُيَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَمْثَلُا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: 6] .. هل تأتي الآن وتقول عندما يحدث كل هذا هل أنت لا تتذكرين ماذا فعلت؟ .. بالله عليك، الآن وأنت تسمعينى لم يخطر على بالك ذنب سيء جداً فعلتيه ولم تعرفي كيف تقابلي به وجه رب كريم؟ .. بالله عليك، هل نسيتي أم ماذا؟ ... الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، أحصاه الله و نسوه .. إياك أن تنسى .. إياك أن تكوني من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ..

افهمي أنه يجب عليك أن تحاسبى نفسك محاسبة دقيقة؛ حتى تنجي من هذه الفتنة العاصفة.

(2) المحاسبة تنطلق من الإيمان بأسماء الله وصفاته ..

ربنا سمى نفسه الحسيب .. سمى نفسه الرقيب {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: 1] .. يراقبك، تصوري لو واحدة بنت غير ملتزمة تكلم شاب بدون علم أهلها وفي نصف الليل، ثم اكتشفت أن أخيها مثلاً يشك فيها وأنه يتبعها ويراقب تصرفاتها .. كيف يكون حالها؟، طوال الوقت تتلفت وتقول: هو طوال الوقت كان يمشي خلفي .. هو كان يسمع المكالمات التي كنت أكلّم فيها صاحبي .. تشعر أنها ممكن في أي لحظة تتفاجأ بفضيحة، أن يفضحها أخوها مثلاً ..

بالله عليك، ربنا الرقيب يراقبك .. هل تعرفين معنى يراقبك؟ مُطَّلِع عليك وعالم بأسرارك كلها، وذنوبك التي فعلتها كلها ..

يراقبك، أتشرين بهذا الإحساس؟! .. تشعرين أن كل تصرفاتك لو آمنت باسم الله الرقيب كيف سيكون حالك .. ستصبحي وجلة، خائفة .. يا نهار أبيض، يعني هذا الذنب ممكن ربنا سبحانه وتعالى لو اطلع عليّ وأنا أفعل هذا الذنب يقول لي: اذهبي فلا غفرت لك .. يا نهار أبيض هو أنا ممكن ربنا يكون اطلع عليّ في لحظة من هذه اللحظات التي كنت أعمل فيها ذنوب السرائر أو ذنوب الخلوات أو الحاجات التي لا يعرفها أحد إلا الله .. هو ممكن ربنا يكون إطلع عليّ وقتها وأنا أفعل هذا الذنب، مقتني وغضب عليّ وساخط عليّ .. يعني هو ممكن يكون غضبان عليّ وساخط عليّ الآن ..

لو آمنت بالله الرقيب ستحاسبى نفسك ..

وسمى نفسه الحسيب .. {.. وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} [النساء: 6] .. كل شيء ستحاسبى عليه، ما رأيك تخيلي معي هذا المشهد لو أنك مثلاً نودي عليك وأنت في الحشر: تعالي يا فلانة يا بنت فلان .. تعالي الآن لكي تقابلي الله .. فذهبت ورجلك ترتجف والملائكة تجذبك للحظة الحساب .. أتيت وأمسكت بكتابك، وبدأت تطلعي على ذنوبك .. وفي هذه اللحظة يقول لك: يا أمي

أنتِ فعلتِ كذا يوم كذا .. يقول لك: تعالي نتحاسب .. كم تعطي نفسك؟ أنتِ {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 14] .. تعطي نفسك كم من عشرة؟ .. هذا رصيد سيئاتك وهذا رصيد حسناتك .. احكمي أنتِ كم تعطي نفسك ، انظري إلى هذا الذنب الذي كنتِ تفعلينه وأنتِ غافلة، وكأن ليس لك رب وكأن ربنا لم يكن مطلع.. وكأن ربنا لم يكن هو البصير العليم سبحانه ، بالله عليك لو قال لك {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} ماذا تفعلين ، انظري إلى المشهد الذي دائماً تُذكر به؛ لأنه صعب ومر .. {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا} [الكهف: 49] .. انظري واستشعري وأنتِ ممسكة بالكتاب وتقولين: يا حسرتي يا ويلى إن لم يغفر لى ربى .. {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] .. حتى الصغائر، حتى الكلمة الفارغة .. الأشياء التي لم ألقِ لها بالاً .. حتى النظرة، حتى الهمسة، حتى هذا، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .. وهذه الموبقات ، وهذه الذنوب الثقيلة أين سأهرب من ربنا؟، وربنا مطلع عليّ ويراني ويحاسبني عليها ..

يا حبيبي ويا خجلي حيه أحاسب بيده يدي ..

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا وذنوبك ومخالفاتك تجسدت أمامك .. ترينها مجسدة أمامك بالصوت والصورة وأنتِ تفعلين هذا الذنب .. ويقول لك: عملتِ هذا الذنب في حقي، هل نسيتي هذه الدرجة، كنتِ غافلة عني هذه الدرجة، كنتِ لا تفكري في هكذا، لماذا تفعلين هذا الذنب؟؟! .. تقولي: يا رب نفسي الأمانة، الشيطان وسوس لي .. يقول لك: وأنتِ لماذا لا تجاهدي نفسك؟ وأنتِ لماذا لا تسعى في مرضاة ربك؟ ،

يا أختاه، مه آمه بأه الله الرقيب الحسيب، حاسب نفسه حساباً دقيقاً.

الأمر الثالث في المحاسبة: أنها تنطلق من الإيمان باليوم الآخر ..

لو أنكِ تشعرين بهذه المعاني وبلحظة الحساب هذه، وخائفة أن تحاسبي بين يدي ربك هذا الحساب الشديد .. ومن نوقش الحساب عذَّب .. والتي تتكلم وتردد وتعرض على أي شيء .. لأن الكتاب أمين .. الكتاب أحصى عليك عملك بالضبط .. كل ثانية في حياتك مكتوبة .. لو تشعرين بهذا المعنى، ستجتهدني الآن أن تحاسبي نفسك ..

لأنه مه حاسب نفسه في الدنيا خفف عنه الحساب يوم القيامة،

تصوري هكذا عندما يقول الله: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ} * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ { [الزلزلة: 6,8] .. ذرة عملها من خير تحاسبي عليها، وذرة عملها من شر تحاسبي عليها .. فلو تشعيرين بهذا المعنى .. المحاسبة تنطلق من الإيمان بأسماء الله وصفاته، ومن الإيمان بأن ربنا سبحانه وتعالى سيحاسب الخلائق جميعاً.

الأمر الرابع: المحاسبة تنطلق من إيمان الإنسان بالهدف والغرض الذي خُلِقَ من أجله

فلو أنك بدأت تنظري في أعمالك، وتقولين: هذه الأعمال أعمال واحدة ربنا خلقها لكي تعبدته وتقيم التوحيد في الأرض وتعمّر الأرض بلا إله إلا الله!! .. أنا لا أهتم بهذا الأمر إطلاقاً، أنا أهم حاجة في بالي أنا تلميذة أو أنا طالبة أن أنجح في دراستي ولما أنتهي من الدراسة أريد أن أستقر مثل أي امرأة وأتزوج وهي كلة في البيت والزوج والأولاد ومشاكل الحياة .. وماذا سنلبس وماذا سنقول وانظري إلى فلانة ماذا فعلت وفلانة تتزوج وفلانة تُطلق .. أليس كذلك ؟ .. هل هذه أعمال واحدة بالله عليك تعرف أن الله عز وجل لم يخلقها سدى.

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: 115]

الآخرة أين أنت منها؟ .. ولو أنك تعملين لهذا اليوم حساب، ستفكرين بطريقة مختلفة .. لو عرفت أن ربنا لا يخفى عليه عملك، ستشغلي بأن تصلحي من نفسك .. ستعملي بطريقة أخرى .. سترين عيوبك ولا تراوغي في اعترافك بها .. ستستعيني بالله أن يخلصك من هذا العيب، وتقارني بين عيوبك وتقصيرك وبين نعم ربنا عليك .. ستستحي منه وتحجلي منه وتضعي رأسك في الأرض وتبكي بين يديه وتخضعي وتخشعي وتذلي وتفتكري ..

إنما التي تترك نفسها بلا محاسبة ولا وقفة مآلها إلى الغفلة ..

الغفلة ستسلط عليك .. ستنسي ذنوبك وعبوبك .. ستنسي ربك، فرينا سيعاقبك أن تنسي نفسك وتخسري الدنيا والآخرة.

خامس شيء في موضوع المحاسبة ..

خامساً: محاسبة النفس من الأمور التي يوصي بها في علاج أمراض القلب ..

مثلما اتفقنا أن هناك علاقة بين النفس والقلب، العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان .. التي تحاسب نفسها هي التي على طريق النجاة .. هي التي إن شاء الله يستبشر بها .. إن شاء الله تستطيع أن تتخلص من هذا العيب وهذا العيب؛ لأنها لا تترك نفسها هكذا .. انظري إلى هذا المعنى واكتبيه؛ لأن السلف يؤكدون عليه ..

النفس كالشريك الخواد إه لم نحاسبه، ذهب بمالك ،

لو أنت تساهمين في شركة مع شخص .. هذا الرجل أو هذه الأخت خائنة، تخونك في ظهورك وتنصب عليك .. لو لم تدققي معها في الحسابات، ماذا حدث اليوم؟ نريد أن نجرد أول بأول .. نريد أن نرى اليوم كم دخلنا وخرجنا منه بكم .. إن لم تصفي ذلك، ذهب بمالك .. هي نفس الفكرة ..

لو لم نحاسبى نفسك ذهبت النفس بإيمانك ..

لذلك يجب أن تفهمي هذا المعنى وتعرفيه جيداً، وتفهمي هذه العلاقة ما بين محاسبة النفس وعلاج أمراض القلب .. التي تكون مستأصلة أو تكون معضلة ولا تعرفي كيف تتعاملين معها .. المفتاح: أن نحاسبى نفسك، فلما نحاسبى نفسك تصبح الحاسبة سبيلك للنجاة من هذه الآفات.

نريد أن نرى الطريقة العملية للمحاسبة .. كيف نحاسب أنفسنا ؟؟

قال العلماء: المحاسبة على نوعين: محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل ..

النفس لها إرادة وعزيمة وهمة، والنبى ﷺ يقول: "أصدق الأسماء حارث وهمام" صححه ابن القيم في طريق الهجرتين .. لأن النفس هذه وصفها تم بفعل الأشياء وتعزم وتريد أشياء كثيرة، وقال الحسن: "رحم الله عبداً وقف عند همه يحاسب فإن كان لله (هذه هي المحاسبة قبل العمل) التي هي دائماً أقولها لك في درس الإخلاص وأنت قادمة للدرس لماذا جئت ؟ .. لكي أسمع كلمة ربما أنجو بها ، خير ، لأن من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، خير .. لأرى بعض الأخوات فلنا فترة لم نرى فلانة وفلانة، ليس خيراً .. لأن المسألة يجب أن تكون خالصة .. لأنك قد تكوني آتيت بحجة يعني لن أخسر شيء، خير الواحد يسمع كلمتين يفوق نفسه قليلاً ، كثيراً جداً أسمع قبل الدرس يا شيخ نريد درس نريد أن نفوق ، حسناً ، نفوق قليلاً وننام ثانية ، نفوق قليلاً ونغفل ثانية ، فماذا سنفعل الموضوع دوماً يسير هكذا ، الدروس ما هي إلا فيتامينات وأحياناً مسكنات؛ لأن الواحدة لا تشعر أنها بعيدة بهذا الشكل عن ربنا وانتهينا .. تخرجي من الدرس تتأثري وبعد ذلك ترجعي ثانية ولا أقسمت على نفسك أنك اليوم ستقومين الليل، ولا أنك في هذا الأسبوع إن شاء الله تحفظي كذا من القرآن، ولا أخذت القرار أن تحسني من أخلاقك ولا سلوكياتك .. إن أنت أخذت قرار أنه يجب عليك أن تتوبي لله من الذنب الفلاني الذي تذكرته وأنا أكلمك اليوم ولو لم تأخذي الموضوع بهذا الشكل، سيظل الأمر في دائرة المسكنات والفيتامينات .. لذلك فالعبد الذي يفهم، الأمة لله تبارك وتعالى ماذا تفعل ؟ .. قبل العمل أنا لماذا آتي، أنا آتي فقط حتى أرضيك يا رب .. آتيت لترضيه حقاً ، لا لا أنت

مناقشة .. لا أنا أتيت فقط لأرضيه، إنما ليس لي هم ولا رغبة ولا إرادة إلا في شيء واحد هو يرضى عني فقط .. لو كنت هكذا فأننا قبل العمل أحاسب نفسي .. وهذه الطريقة التي تكلمت بها هي طريقة الخاسبة .. لا أنت مناقشة أنت تكذبن على نفسك .. أنت تضحكي على نفسك .. صدقيني أنت لست كذلك على الإطلاق، تبدئي تعزمي على نفسك ..

لا أنا سأستحضر نية طيبة، وإن شاء الله قبل أي عمل ثلاثون ثانية ويمكنه أقل عشر ثواني: أنا أتيت لأرضيه ..

أنا لماذا أصلي الآن؟؟ لكي يرضى؛ لأن التي تصلي هذه الصلاة ستصبح صلة بينها وبين الرحمن .. أنا لماذا أتصدق بهذه الصدقة؟؟ لأن هذه الصدقة برهان .. لماذا أصوم هذا اليوم؟؟ حتى يبعد عني النار مسافة سبعين خريفا .. أنا الآن لماذا أريد أن أفعل هذا العمل البر هذا؟ لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء .. أنا لماذا أفعل كل هذا ولست أحفظ هذا الكلام ... لكي يرضى ، إذاً الخاسبة الأولى هذه تجعل الواحد مخلص لله تبارك وتعالى ..

قالوا: اسألني نفسك أربعة أسئلة قبل العمل:

(1) هذا العمل الذي ستقومين به في مقدورك؟ يعني تقدرين على عمله ؟

(2) هذا العمل فعله خير من تركه؟ لو عملته أفضل من أن أتركه؟

(3) لماذا تفعله؟ .. أنا أعمل هذا لله

(4) من سيعينك عليه ؟ .. أنا سأستعين بالله.

أربعة أشياء: أنا أقدر على هذا العمل .. أنا لا حول لي ولا قوة .. الإجابة النموذجية يعني أنا أقدر أعمل كذا نعم أقدر لا لا تقولي نعم أستطيع، قولي: أنا بحول الله وقوته أستطيع.

أنا ربنا سبحانه وتعالى من علي بنعم كثيرة بإذن الله وبحول الله وقوته نستطيع اليوم إن شاء الله نصلي نصف ساعة زيادة قيام.

هل فعله خير من تركه؟ .. هل أنا لو فعلت هذا أليس أفضل؟ .. هو أنا اليوم لو مسكت مصحف وقرأت كذا أليس أفضل

من أن أكلم فلانة في التليفون، أو أواسي علانة .. ما الأحسن يجب علي أن أعرف الفاضل والمفضول؟ .. هل أنا انتهيت من أورادي ، هل أنا تعلمت العلم الفرض الذي علي؟ .. هل أنا اليوم تعبدت الله بعبودية جديدة؟ .. هل أنا اليوم قلبي راضي عن ربي؟ هل أنا قلبي اليوم شعر بمعنى جديد؟ .. فاسأل نفسي أي عمل الذي يكون فعله أفضل ..

وبعد ذلك السؤال الذي قلناه، **سؤال الإخلاص: لماذا أفعل ؟ ..** لأرضيه، السؤال الرابع العون ونحن الآن قلنا أنا محتاجة أن يعطيني أحد الدفعة من الذي سيمدني بهذا ؟ الاستعانة تكون بالله إياك نعبد وإياك نستعين .. فهذه الخاسبة التي قبل العمل ..

وهناك المحاسبة التي بعد العمل، وهذه ثلاثة أنواع،

أول شيء: نحاسب نفسي على طاعة قصرت فيها من حق الله .. يعني مثل ماذا أنا صليت العشاء .. صلاة العشاء

هذه صليتها بخشوع؟ أم ماذا؟ .. أنا صمت اليوم، يا ترى الصيام كان مؤثر في قلبي وأورثني شيء من معنى التقوى؟ أم كان للأسف الشديد كان فيه آفات ومعاصي وتكلمت بكلام ليس له أي فائدة وعملت وسويت؟ .. أنا الآن وأنا أذكر سرحانة، أقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ... و يمكن أعمل ذنوب بعيني أو في رأسي أصلاً خواطر سيئة، وأستغفر الله أستغفر الله وحسب .. كلام على اللسان أو تائهة تماماً وغافلة .. فأحاسب نفسي على التقصير في الطاعة .. إذاً انتبهني واكتبي معي هذه الست أشياء يعني كحاشية أو فائدة ..

يعني ربنا حقه في الطاعة ستة أشياء:

(1) أن تخلصي هذا العمل له

(2) تتابعي النبي ﷺ .. فمثل ما فعل النبي ﷺ تفعل

(3) تحسني هذا العمل وتتقنيه لأنك تقدمي العمل لله

(4) أن تشهدي منة الله عليك والتوفيق كان منه وأنك لا تستطيعي أن تفعلي أي شيء

(5) تربي وجه التقصير الذي فعلته في عملك .. حتى تشعر بمعنى العبودية .. معنى الذل التام لله، الذي لما تشاهدي المنه تحبيه، ولما تشاهدي تقصيرك تذلي له .. الذل والحب يكونوا معنى العبودية، الذي هو تمام الحب مع كمال الذل لله تبارك وتعالى.

(6) النصيحة لله في هذا العمل والنصيحة للمسلمين .. بأن تدعي الناس بأن يتشبهوا وأن يمثلوا لأمر الله تبارك وتعالى

ستة أشياء هذا حق الله في أي طاعة ، انظري هكذا هل أنا كنت مخلص في هذا العمل؟ .. هل أنا أفعله مثل ما فعله النبي ﷺ هل أنا أجده وأتقنه؟ هل أنا كنت أشعر بنعمة ربنا علي أن من علي بهذه النعمة؟ هل أنا مقصرة فيها؟ هل أنا دعوت إلى الله تبارك وتعالى أن الناس تفعل هذه الأفعال؟ .. فكري من خلال هذه المعاني، هذا أول شيء في معنى محاسبة النفس قبل العمل على التقصير في حق الله.

الأمر الثاني: محاسبة على عمل كان تركه خير من فعله .. ماذا يعني هذا ؟ يعني أنا اليوم كنت أقيم الليل وبعد ذلك

فاتي صلاة الفجر أو انشغلت بالأذكار وغيرها وفاتي طلب العلم الفرض .. فالظاهر لي أنني كنت أقيم جزء من الليل وأنام وقت

لا بأس به وأخذ بالتحصينات والأذكار التي قبل النوم على أساس يكون عندي هذا الجسد للراحة .. إن لبدنك عليك حقاً حتى لا أفوت صلاة الفجر، وأنا لا آخذ بالأسباب التي تعينني على ذلك .. فابدأ أحاسب نفسي على عمل كان تركه خير من فعله .. انظري إلى النبي ﷺ عندما قال لأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها : "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزّنت بما قلت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته." صحيح مسلم

هذا هو العمل الفاضل وأيضاً الذكر المضاعف .. إذاً يجب أن نشغل أنفسنا بهذه الطاعات وهذا يكون طبعاً بعد العلم وبعد إستشارة أهل العلم.

ثالثاً: حاسبي نفسك لم قمتي بأمر معتاد مباح؟

كل يوم، لم تنامي هذا المقدار من النوم؟ .. من الممكن أن تنامي أقل .. العلماء المتخصصين في علم النوم – يوجد علم بهذا الاسم في أوروبا- يقولون أن النوم قرابة الستة ساعات إلى ثمان ساعات جيد جداً، والتجربة تقول العكس لو الشخص أخذ بأسباب الإيمان وفي حالة إيمانية سليمة ربنا يبارك له في نومه .. وكان السلف يقولون "اللهم اشفني من النوم باليسير" .. فلم كل هذا الوقت؟

ذكرت لكم قبل ذلك هذا المعنى، أن أخوات – بفضل الله عز وجل – وكانوا متوجدين معنا في المجلس كانوا يجتمعوا كل ثلاث أيام وكان كل يوم أذكراها وتسييحها واستغفارها يصل إلى عشرة آلاف .. بمعنى تستغفر 2000 أو 3000 مرة و تصلى على النبي ﷺ 10000 مرة، عندما نظرنا إلى عملها وجدنا أنها تنام أربع ساعات، لذلك هي تختلف عنك ..

من الممكن أن تجرى بجوارها في السباق ولكن أنت تنامين وهي تكون ما شاء الله سبقتك، هؤلاء أصحاب المهمة العالية، عندما تقولين: لِمَ أضيع هذا الربح؟ لِمَ أضيع رأس مالي؟ رأس مالي هو وقتي... إذاً أنا أحتاج أن أنظر إلى كل ما فعلته لماذا قمت به؟؟ أنا بتكلم فقط... أجلس فقط... الوقت يمر... نقتل الوقت، أنا عندي حالة ملل، عندي مشاكل نفسية... لا أدري ما أفعل في حياتي؟

لماذا تضيعين وقتك؟ حتى لو في مباحات، فما بالك لو ضيعتي وقتك في معاصي هذه مصيبة أخرى ..

فمه أجل ذلك لا تضيعي وقتك،،

يجب أن تكوني صاحبة رسالة، يجب أن تكوني صاحبة قضية، تعيشي لها... قضيتك إنك تكوني داعية لله تبارك وتعالى

تدلى الناس على الخير ... ربنا من عليك بالحجاب تريدي أن يكون كل الأخوات كذلك، الله مَن عليك بالصلاة تريدي أن يصبح كل أهلك وكل عشرينك كذلك .. تشعرى بقضية الإسلام... تشعرى بأن الإسلام عزيز جداً، تقولين مثلما كان يقول سيدنا المقداد بن الاسود " لَأَمُوتَنَّ وَالْإِسْلَامَ عَزِيزٌ "...

أخت لديها همة في علو الجبال وفي رسوخها، هي التي تفكر بطريقة صحيحة فتحاسب نفسها على كل شيء حتى على الأمور المباحة، لِمَ تحدثت هكذا؟ لم ضيعت وقتي هكذا؟؟ ومن هنا نبدأ في الخاسبة ..

العلماء بعد أن ذكروا هذا الكلام، ابن القيم استفاض في هذا في كتاب مدارج السالكين، بعد أن قال أن الخاسبة على نوعين .. أنا أوضح لك نقطة نقطة لكي يكون الدرس منظم ويدخل ذهنك وتفهميه جيداً؛ لكي نطبق عملي بعد أن تصل الفكرة لك.

ذكرنا أن الخاسبة على نوعين؛ محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل، ذكرنا أن الخاسبة التي قبل العمل تسأل نفسك الأربع الأسئلة التي ذكرناها .. أما الخاسبة التي بعد العمل على ثلاث أنواع: على التقصير، على عمل كان تركه خير من فعله، على أمر معتاد مباح لماذا قمتي به؟

بعد ذلك ذكر العلماء، عندما نبدأ بعمل ورد محاسبة ..

أول شيء: تعرفى المجالات التي يجب أن تفكرى فى حساب نفسك عليها

1. الفرض .. الفرض يقدم على الحرام ... ربنا سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسى "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" [رواه البخاري]، عندما تبدأى التفكير يجب أن تتذكرى الفروض التي عليك، أنت تحسبين أن الفروض هي الخمس صلوات أو صيام رمضان..

لله أول شيء برك بأهلك فرض

لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كنت مستطيعه فرض

هل أنت مقصدة في هذا الجانب؟؟

أنا لن أذكر لك الأمر بالمعروف والدعوة والبر بالأهل سأذكر لك شيء آخر يجب أن تنتبهى له

لله خوفك من الله فرض

لله خشيتك لله في السر والعلن فرض

لعل حيانك من الله فرض

هل تستحيه منه؟ هل تعظمه حق التعظيم؟؟

ألا يقول ربنا { وَرَبُّكَ فَكْبَرُ } [المدر: 3]، أمر.. تكبير يعنى تعظيم، هل ربنا عظيم في قلبك، لو ربنا عظيم في قلبك كيف يكون أهون الناظرين إليك؟؟

إذاً أول شيء يجب أن تفكر فيه الفروض التي عليك..

2. العلم.. هل أنت راضية بأنك انتهيت من كتابين إلى الآن ويوجد علم فرض عليك من عقيدة.. من فقه... إلخ

أنت حتى الآن لم تحصيله.. أنت آثمة فحاسبي نفسك على هذه المعاني.

ثاني شيء: أن تحاسبى نفسك على المحرمات والمناهي..

خطوات عملية، اكتبي قائمه بينك وبين نفسك حتى ولو كانت بالرموز بحيث لا يعرفها أحد مثلاً:

أنا عندي موضوع إطلاق البصر ..

لساني لا أدري كيف أعالجه..

في نفس الوقت عندي مشكلة في موضوع الكبر .. أنا أعلم من نفسي هذه المشاكل، أنا أعلم إنني عندما أقوم بعمل أو عملين أحب أن يعرف الناس جميعاً ..

أبدأ في الكتابة بموضوعية، أكتب أربع أو خمس آفات ... عشرة، وأبدأ أعمل عليهم وأبحث عن الأشياء التي دائماً ما أقع فيها في ذنوب لكي أغلق أسبابها كلها، وأتوب إلى الله منها .. هذه هي الطريقة التي بها تحاسبى نفسك على المحرمات والمناهي.

بعد ذلك حاسبى نفسك على الغفلة ..

هل سأقضي حياتي في تلفاز وفصائيات وفي جلوس بلا هدف؟ .. هل الدنيا تسلية؟ .. هل خلقنا في الدنيا هو ولعب؟

هي الدنيا هكذا، لكن الله لم يخلقنا فيها هكذا { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } [محمد: 36]، لكن الله أمرنا ألا نلتهي بها { أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (*) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } [التكاثر: 1,2]، نحن لم نخلق غفلة لكي نعيش غفلة ولم نخلق سدى...

فحاسبي نفسك كم مه وقتك بضبح؟

سأذكر لك تجربة عملية جميلة في هذا الموضوع، قالها بعض مشايخنا .. تعرفين أجهزة ال (mp3) بعضها يتحمل 8 ساعات تسجيل، شاب قام بهذه الفكرة وقد أعجبتني كثيراً... قام الشاب بتسجيل ما يفعل على (مُسجل ال mp3) في يومه لمدة 8 ساعات لكي يعرف ماذا يقول، ثم أمسك بورقة وقلم .. { كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 14]

وبدأ يبحث ما الكلام الذي ينفعه أمام الله من الذي قال وما اللغو وهو كان متذكر قول الله تعالى { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } (*) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ { [المؤمنون: 1,3] ونظر إلى كلامه ورأى أن هذا يغضب عنه الرحمن وتذكر هنا:

إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ,

{ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 14]

ما رأيكم لو قمنا بمثل هذه التجربة؟ .. أن يسجل لنفسه أخطائه، أو تكلفي أخت - تكون قريبة منك جداً- وأنت في مجلس - مثل هذا المجلس- دائماً يكون لها تعليقات عليك .. تقولي لها: هل من الممكن لو لاحظت علي أي عيب أن تكتبيه لي ونناقش فيه، حتى لو ذكرت فيك عيوب كثيرة، خير... على الأقل أنا سأستفيد.

مثلاً الأخت تبدأ بالنصح وتقول لاحظت عليك أنك أحياناً تكوني نرجسية، تحبي أن تكوني محور المجلس، تحبي أن تتكلمي عن نفسك ولاحظت أيضاً اليوم وأنت تتحدثي أنك ذكرت الأخت فلانة ولم يكن يصح أن يحدث ذلك.

وشعرت أن عندك تذبذب، أخت تبصرك بعيبك فهذا يكون سبب من الأسباب التي تعرفك بعيوبك لكي تعالجها وتعرفي كيف تحاسب نفسك عليها؛ لكي تعرفي كيف تأخذين القرار للتخلص من الآفة التي بك ..

العلماء قالوا: **الحاسبة على الفرض والمحرم والغفلة** .. توجد طريقة ثانية تحاسب بها نفسك، أحاسب نفسي على أعضاء .. ابدأي انظري إلى يدك، وتقولي يا ترى يدي سوف تمسك كتاب الله بيمينك .. يا ترى هذه اليد التي امتدت إلى الحرام يا ترى سببنا وتعالى سيتوب علينا أم لا .. أنظر إلى يدي وأتذكر الذنوب التي قمت بها بيدي .. وأنظر على لساني وأتأمل يا ترى سوف يورثني المهالك مثل ما كان سيدنا أبوبكر الصديق يقول "هذا الذي أوردنا المهالك، هذا الذي أوردنا الموارد" .. أفكر في أعضائي، كل عضو منها يا ترى سوف تشهد لي أم سوف تشهد علي هذه طريقة أخرى لكي أحاسب نفسي على أعمالي ..

الوصايا المهمة لحاسبة النفس بشكل عام

1) كوني دقيقة في كل تصرفاتك.. تصوري القصة الجميلة أن أمنا عائشة تحكي أن عندما كان سيدنا أبو بكر في سكرات الموت، قال لها "ما أحد من الناس أحب إلي من عمر" ثم قال كيف قلت .. قلت: ما أحد من الناس أحب؟، فقال: لا أحد أعز علي من عمر .. استدرك سيدنا أبو بكر وقال إن النبي محمد ﷺ أحب إليه .. سيدنا أبو بكر حاسب نفسه وهو في سكرات الموت وغير الكلمة من أحب إلى أعز مباشرة؛ لكي تكون كلمة صحيحة صواب .. حتى لا يحاسب عليها .. طبعاً أنا لا أقول أن تكوني سيدنا أبو بكر، لكن على الأقل تعرفي أنت لم قلت هذه الكلمة .. الكلمة هذه سوف تنفعني ؟ .. أنا لماذا دخلت في هذا الموضوع ؟ .. "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" [رواه مالك وأحمد وصححه الألباني]

تكوني دقيقة في كل تصرفاتك، وكوّنِي هدف تحيين من أجله .. بمعنى يكون لك رسالة .. الحسن البصري يقول "المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبيني وإنك من حاجتي ولكن هيهات. حيل بيني وبينك" - وهذا حاسب قبل العمل - ثم قال: "ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا؟ والله لا أعذر بهذا، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله" - وهذا حاسب بعد العمل ..

بمعنى مثلاً دخلت عليك أخت كان زيهما الذي ترتديه جميل ما شاء الله، وأنت تحبين هذه الألوان جداً وتحبي هذا التصميم وتحبي النوعية التي ترتديها الأخت .. وتسألها من أين حصلت على هذا الفستان؟ .. مثلما قال يعجبه .. مثلاً يطلب ابنه منه بعض المال يعطي له، يبدأ يري ابنه على أن كل طلباته مجابة .. يكبر الولد مدلل وشخصيته للأسف تكون مشوهة، مثل للأسف الشديد أثر آثار التربية السيئة التي حدثت لنا؛ لأن أهلينا كانوا طيبين .. أهل العلم أثبتوا هذا، أن الأخت تقول: يا والدي يا والدي، محتاجة شيء معين سمعاً وطاعة ما تريد يا حبيبي .. هذا الكلام أصبح عندكم آفات كثيرة جداً وبعد ذلك تؤمروا بأعظم الأمور لا تستطيعوا ... الأم أعطت لابنتها كل شيء فأصبح عندكم نوع من دنو الهمة، لأنه عكس تماماً مجاهدة النفس .. فللأسف الشديد لن تعرفي كيف تقفين أمامها ودائماً هي التي ستغلبك ..

بالله عليك افهمي هذا المعنى، أغضب عندما يكون معنا أخوات ويحضرن دروس ويسمعن كلام وتعرفن كيف تكون الأخوات ونقول الأخت يجب أن ترتدي كذا ولا تفعل كذا وبعدها بدرسين أو ثلاثة تفعل كل المخالفات التي ذكرناها، فما هذا؟

هل تلعبين بدينك؟ ماذا أتيت؟

وتسمع الحكم الشرعي في الموضوع الفلاني وتعرفه، ومن الممكن أن تقول لصاحبتها الحكم كذا، وللأسف الشديد لا تُطبقه على نفسها، أين أنت؟ ألن تستفيقي لنفسك؟ هل تفهمين أن الأمور ستسير هكذا؟

ألا تخافين من ربّ مُطلِع عليك بعد أن أقام عليك الحجة؟ .. اتق الله في نفسك،

وعندما تسأل يُقال لك أنها تعودت على ذلك، ما تهفو لها نفسها تفعله، نقول للأخوات {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...} [الأحزاب: 33] يخرجن ويضحكن، نقول هن : يا أختاه أين أنتِ من الحياء؟ لا يصح أن تلبسي كذا أمام أختك فلانة، تقول : هل سنطبق كلام الشيخ هاني؟ (لا حول ولا قوة إلا بالله) ..

ولماذا كنت أقول كل هذا الكلام؟ هل لنعيش التشدد وأصيبك باكتئاب ومشكلة وأجعلك تعيشين الضنك؟ والله أبداً ويستحيل أن يكون الأمر كذلك، وإنما الواحد عندما يجد شيء من اليسر فيريد أن يأمر به الناس، لكنك من أجل هواك في هذا فدائماً ترضخين هواك لأنك لم تتعلمي أن تقولي لنفسك لا، ولم تتربي أنك ما تهفو إليه نفسك يُقال لك فيه: لا .. افهمي هذا المعنى بالله عليك، واتقِ الله في نفسك، أريدك أن تُذكرِي نفسك أنك لن ينفعل عند الله اسمك أو شكلك أو مركزك الاجتماعي أو جاهك أو مالك أو جمالك، لن ينفعل عند ربك شيء من هذا كله ..

من أنت ؟ أنت فقيرة جداً والله حتى إذا كنت تملكين كنوز الدنيا، أنت ضعيفة جداً والله حتى إذا كنت أمام الناس ثمثلين وكأنك من لم يكن من هي قبلك أو من هي بعدك .. أنت فقيرة ..

سيدنا أنس يقول : سمعت سيدنا عمر رضي الله عنه يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائط (دخل بستان وجلس فيه) فسمعتة يقول: يا أمير المؤمنين (يضحك على نفسه مثلما يجلس الواحد مع نفسه ويقول : أنت الشيخ أنت من هو كذا وكذا) وبلي وويل أُمي وأي إن لم يرحمني ربي ..
أنت بينك وبين نفسك : أنا من هي المنتقبة، أنا من هي مُحجبة، أنا من يقول عليّ الناس المؤدبة، أنا من يقول عليّ الناس وتشيد بي ؟ .. فليروني وأنا أفعل الذنب الفلاني ..

لو كانت للذنوب رائحة لقذنا الناس

فضل يقول : أمير المؤمنين . . بخِ بخِ والله لتتقين الله أو ليعذبنك

قولي هكذا لنفسك: والله لتتقين الله أو ليعذبن عذاباً شديداً

ألم يأت وقت الخشية من الله، إلى متى سأترك نفسي هكذا؟ والله لتتقين الله أو ليعذبنك

ذكرِي نفسك بملك الذنوب والعيوب التي قد اتفقنا أن نكتب

قال مالك بن دينار: رحمَ الله عبداً قال لنفسه : ألسن صاحبة كذا ؟ ألسن صاحبة كذا ؟ ألسن صاحبة كذا ؟

ألست أنت من فعل كذا؟، وتأت الآن لتحدثني عن الأخت فلانة ؟ .. انظري إلى نفسك، بالله عليك انظري إلى عيبك، اشغلي نفسك بعيوبك ..

ثم ذمها وفطمها وألزمها كتاب الله، هذا هو حساب النفس ..

إياك أن تهمل نفسك لأنك عندما تهمل نفسك فهذه هي علامة الغرور !!

تجدين المغرورة في شيء من العلم حصَّلتَه، أو مغرورة بالنقاب أو بالخمار أو مغرورة بدرس أو درسين فترك محاسبة نفسها، لماذا ؟

لأنها تشعر أنها ممن يُحسنون صنعا، فتقول دائماً أنا لذي أورادي .. والأخرى تقول: أنا انتهيت من معهد كذا، وأخرى تقول : أنها منهمكة في أمور الدعوة، ومن هنا تخرج علينا الأخت مُفتية الديار حفظها الله والأخت التي جُلَّ التزامها كان نقاب والأخت من أول أن عرفت طريق الله هي لا تتقدم شيء وتعتقد أنها أصبحت شيء لأن الناس يُعاملونها في وفق المظهر، والأخت التي تُفتن سريعاً بالزوج من أول فترة العقد، ومن تشغل بشهواتها عن مُحاسبة نفسها ..

يا أختاه أسألك بالله ماذا تعلمت؟ هل تعلمت شيء؟ فماذا فعلت بها؟ هل قمت لله بحقه فيها؟ هل

بلغتها؟ هل زدت علماً؟

الأخت التي لم تعلم بعد، إلى متى ستعيشيه هكذا تسيريه في الظلمة؟ هل ستعبد به ربك بالجهل؟ متى ستزلي به

الجهل عنه نفسك؟

متى ستعرف به على ربك؟ متى ستدينه لله بالديه الحقيقي بالديه الصحيح؟ .. لابد أن تفهمي ذلك، لابد أن تعرفي

ذلك، ولابد عندما تترك تصديقك تُعاقب نفسك على تصديقك في جنب الله

★ انظري لسيدنا عمر بن الخطاب ذات مرة فاتته صلاة العصر في جماعة، فتصدَّق بأرض قيمتها مائتي ألف درهم ..

★ ابن عمر رضي الله عنهما كانت إذا فاتته صلاة في جماعة، أحيا تلك الليلة كلها ..

★ وفات ابن أبي ربيعة ركعتا سُنة الفجر، السنة الخفيفة فأعتق رقبة

★ قالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة يوبخ نفسه

★ أمنا عائشة كانت تُصلي وقت الضحى كله {فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور: 27] .. وتبكي تُعاقب نفسها

وتُحاسب نفسها وتُلزم نفسها طاعة ربها ..

يا أختاه بالله عليك قفي وقفة مع نفسك، واطلعي على عيبك لأنك عندما تُحاسبي نفسك هذه المحاسبة ستبدأي في معرفة من أنت ؟ وتعرفين من هو ؟ فعندما تعرفين من أنت ستخافين مقابلة الله بهذا الحال .. عندما تطلعي على عيوبك وتكتشفين أشياء يمكن لم تخطر لك على بال، فستبدئي تكرهي هذه النفس في الله ..

كان يونس بن عُبيد يقول : **إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسي منها واحدة** (انظري عندما يجلي الإنسان مع نفسه يقول : أنا غير قوَّام أو صوَّام أو أذكر الرحمن ذكر الذاكرين الله كثيراً أو عندي العلم الكافي وأفرح بكلمتين قد قلتها أو كلمتين تعلمتهما، ينظر إلى الأشياء الفائتة عنه ليستدركها ليعرف أنه لا بد أن يتقدم الخطوة لله **{لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}** [المائدة: 37]

وفي نفس الوقت يرى ذنوبه وعيوبه هذه فيخاف من رب يعلم ما توسوس النفس به وهو أقرب إلينا وهو سبحانه وتعالى القريب **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...}** [البقرة: 186]

بالله تُزلزلك هذه الآية إذا فهمتها : **{...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ...}** [البقرة: 235] .. يا ويلتاه الله يعلم ما بداخلي، الوسواس، الهواجس، الخطرات السيئة، الله يعلم ما بداخلي ..

وانظري ماذا يقول : **{...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ...}** [البقرة: 235] .. يقول لك: خافي مني، يقول لك فليكن عندك خشية من رب مُطَّلِع عليك ، يقول لك : افهمي الأمر، افهمي القضية، افهمي المصير ...

حاسبي نفسك ، وحاسبي على نفسك ، أن يكون الحساب لله وحسبه

قلنا كيف نعرف أنفسنا وكيف نحاسبها، وكيف نُروِّضها ؟ .. وأظن أن الكلام طال؛ لأن قضية المحاسبة قضية خطيرة فإن شاء الله تبارك وتعالى نستكملها في لقاء قادم عن ترويض النفس لكن بالله ..

وصيتي في ختام هذا المجلس : بالله قبل أن تفكري في أي شيء الآن ستخرجيه له اجلسي مع نفسك واخرجي ورقة وقلم أو أن تكتبها على جوالك وخذي قرار، اكتبي عيب تعاهدي الله أنك ستخلصيه منه واكتبي عمل تخلفيه على نفسك أنك إن شاء الله خلال هذا الأسبوع ستطيقينه ..

سأكون وقفة مُحاسبة حقيقية، سأكون قرار شجاع، كفي حرمان وكفي بُعد وكفي غفلة ..

بالله عليك بالله عليك سأقولها لك مرة ثانية : حاسبي نفسك وحاسبي على نفسك ..

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يُؤْتِيَ أَنْفُسَنَا تَقْوَاهَا وَيُزِيلَ عَنْهَا هَوَا
 خَيْرَ مَنْ زَيَّاهَا هُوَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَفْتَحُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّبِعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا
 رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّجْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا
 فَسْتَذَكِّرُونِ مَا أَقُولُ لِمَنْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِسِيرٍ بِالْعِبَادِ
 سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ أَنتَ هَدَيْتَنَا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَلِّبِهِ وَسَلَّمَ،

فضيلة الشبهة / هاني حلمي